المحاضرة:12

«التبيان في إعراب القرآن» للكُعْبري (538هـ - 616هـ)

أولا: التعريف بالكاتب:

هو محبّ الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله الضرير، الكُعْبري الأصل، البغدادي المولد والدّار. ولد في بغداد سنة 538هـ. أخذ النحو عن أبي محمد بن الخشّاب وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد، وسمع الحديث من أبي الفتح محمد بن البطي، ومن أبي زرعة المقدسي، وغيرهما.

كَانَ العكبري ثِقَة صَدُوقًا، غزير الْفضل، كَامِل الْأَوْصَاف، كثير الْمَحْفُوظ دينا، حسن الْأَخْلَاق متواضعا، وَكَانَ لَا تمضى عَلَيْهِ سَاعَة إِلَّا فِي الْعلم[1].وكان أديبا ذا معرفة بعلوم القرآن وأسرار العربية، واسع الثقافة، عالم بالقراءات، متمكّن في النحو الذي غلب عليه واللغة، محيط بالأدب. ذاع صيته في البلاد وقصده الناس وانتفعوا به ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه . انقطع في آخر أيامه في بيته منشغلا بالعلم والعبادة حتى توفي في 616هـ .

من مؤلفاته المتنوّعة: شرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، وديوان المتنبي، إعراب القرآن الكريم، إعراب الحديث، شرح اللمع لابن جني،اللباب في علل النحو، إعراب شعر الحماسة ، شرح المفصّل للزمخشري والخطب النباتية والمقامات الحريرية[2] ، اللّبَاب فِي علل الْبناء وَالْإِعْرَاب، الترصيف فِي التصريف، تَرْتِيب إصْلَاح الْمنطق على حُرُوف المعجم، الِاسْتِيعَاب فِي الْحساب وغيرها[3].

ثانيا: التعريف بالكتاب:

1 - عنوانه:

العنوان الكامل للكتاب هو «التبيان في إعراب القرآن يعرض لأهّم وجوه القراءات ويعرب جميع آي القرآن». والتبيان من بان الشيءُ وتَبَيَّنَ واستَبانَ:ظهَر، واتَّضَح، وأَبَنْتُه أَيْ أَوْضَحْتُه . والبَيانُ: مَا بُيِّنَ بِهِ الشيءُ مِنَ الدَّلَالَةِ وغيرِها، والتَّبْيينُ: الإيضاح

---

[1] . ينظر: السيوطي ، بغية الوعاة تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان، 39/2 .

[2] . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، 3 / 100.

[3] . ينظر: السيوطي ، بغية الوعاة تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان، 39/2 .

والوُضوحُ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: بَيَّنْت الشيءَ تَبْييناً وتِبْياناً، وتِبْيانُ كلِّ شيءٍ، أي كشْفُه وإيضاحُه، وتبيين فيه كل ما يُحتَاج إليه[1].

ومنه فالعنوان يحمل دلالاتِ الإظهار والتّوضيح والكشْف والتبيين. فقدْ أراد مؤلّفه أنْ يُوضّح ويكشف في هذا الكتاب كلَّ ما يحتاج إليه طالب العلم في إعراب القرآن الكريم .

2 ـ أسباب تأليفه:

لم تعْجِبْ العكبري كتبُ الإعراب التي ألّفت بسبب خلل فيها، رغم أنها كثيرة ومختلفة، يقول:" والكتب المؤلّفة في هذا العلم كثيرةٌ جدا مختلفة ترتيبا وحدّا؛ فمنها المختصر حجما وعلما، ومنها المطوّل بكثرة إعراب الظواهر وخلْط الإعراب بالمعاني، وقلّما تجد فيها مختصَر الحجم كثير العلم"[2]. لذلك أراد أنْ يجمع بين الحُسْنييْن؛ اختصار الحجم وكثرة العلم. يقول:" أحببت أنْ أُمليَ كتابا يصغر حجمه ، ويكثر علمه، أقتصر فيه على ذكر الإعراب ووجوه القراءات، فأتيت به على ذلك"[3].

3 ـ مقدمته:

بدأ كتابه بمقدّمة موجزة جدا تحدّث فيها عن القرآن الكريم؛ فذكر أنّه هو أولى بعناية طالب العلم، كونه أصْل العلوم، وهو حاكمها ومقياسها، وهو المعجز، وأسرارُ معانيه لا تنفد. ثم بيّن أهميّة الإعراب؛ فأوّل طالب العلم هو تلقّف ألفاظ القرآن الكريم ، ثم تلقي معانيه . وأقوم طريق للوقوف على معانيه ومعرفة أغراضه هو معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من ثنايا خطابه، والنظر في وجوه قراءاته المنقولة عن الأئمة. وأخيرا بيّن العكبري أسباب تأليف كتابه[4] .

4 ـ مضمونه :

مدوّنة الكتاب هي القرآن الكريم، باعتباره أحقّ بالبحث ، وأصلا للعلوم، وحاكما عليها. وموضوعه الأساس الإعرابُ وشيء من القراءات، باعتبارهما طريقا لمعرفة معانيه وتبيين أغراضه . ومن ثمّ فالكتاب تطبيق علميّ لمجمل آراء العكبري النظريّة في مختلف علوم اللغة وعلوم القرآن والبلاغة والقراءات . حيث أوْدع فيه خبرته النّحويّة والتّصريفيّة

---

[1] . لسان العرب ، 13 / 67 ، 68 .

[2] . العُكبري ، التبيان في إعراب القرآن الكريم ، تح: محمد علي البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، ص1.

[3] . العُكبري ، التبيان في إعراب القرآن الكريم ، تح: محمد علي البجاوي ، ص2.

[4] . ينظر: العكبري ، التبيان في إعراب القرآن ، مقدمة المؤلف ، ص1 .

وغيرهما[1]، من أجل الكشف عن إعراب آياته ووجوه قراءاته . ومن ثمّ فقدْ بيّن " الوجوه الإعرابيّة المحتملة في إعراب كثير من الآيات القرآنية، إذْ نراه يتتبع الكلمات التي تحتاج إلى إمعان النظر وإعمال الفكر، فيذكر الأوجه الإعرابية الجائزة فيها، مؤكّدا على الخلاف النّحويّ ومؤيّدا رأي كلّ فريق بأدلّته وحجّته، مرجّحا ما يجده مناسبا للمعنى"[2]، ويضعّف ما يراه ضعيفا، ويحكم بالشّذوذ على ما شذّ منها.

كلّ هذا من خلال ترتيب سوره حسب ترتيبها في المصحف، ابتداء بسورة الفاتحة، فالبقرة وآل عمران ... وانتهاء بالناس ، مع المحافظة على ترتيب آياتها. يتتبع القراءات الأخرى المحتملة في الآية التي يعربها ثم يوجّه كلّ قراءة منها التّوجيه النّحوي المناسب ، فيرجّح ما يراه مناسبا ويضعّف ما يضعّف ويحكم بالشذوذ على ما شذ منها.

وقد ورد في نهاية إحدى نسخ الكتاب قولُه:" تم الكتاب والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد أجمعين. هذا آخر ما تيسّر من إملاء كتاب (التبيان في إعراب القرآن) ونسأل الله أن يوفقنا لشكر آلائه،وللعمل بما علّمنا، والعصمةَ من الزلل في القول والعمل،بمنّه وكرمه"[3].

5 ـ منهجه:

لم يفصح العكبري عن منْهجه، بل كان همّه هو ذكر الإعراب ووجوه القراءات ـ كما بيّن عنوانه ـ ، وجانبا من الخلاف النحوي. بعد المقدّمة استهلّ كتابه بإعراب الاستعاذة والتّسمية، ثم رتّب سوره حسب ترتيبها في المصحف، فبدأ بالفاتحة، فالبقرة وآل عمران... وانتهى بالناس ، محافظا على ترتيب آياته . ويمكن تلخيص منهجه في الآتي:

- غالبا ما يربط الإعراب بالمعنى .
- يتبع الأسلوب التعليمي المعتمد على التسهيل والتشويق : إن قيل ... قلنا ... كان يمليه بسبب فقْدِ بصرْه . وهو أسلوب قديم .
- كثيرا ما يرجع إلى أصل الكلمة وهي سمة بارزة في الكتاب .
- الابتعاد عن تفصيل إعراب الآيات، انتقاء من السورة الآيات ومن الآية الكلمات أو الكلمة الواحدة عند توجيه الإعراب .

---

[1] . عماد مجيد علي ، منهج أبي البقاء العكبري في كتابه (التبيان في إعراب القرآن)، ص78.

[2] . عماد مجيد علي ، منهج أبي البقاء العكبري في كتابه (التبيان في إعراب القرآن)، ص81 .

[3] . ينظر: العُكبري ، التبيان في إعراب القرآن الكريم ، تح: محمد علي البجاوي ، ص1312.

• الإكثار من ذكْر القواعد النّحويّة والأصوليّة العامة. والاهتمام الكبير بالخلاف النّحويّ.

• استشهاده بالكثير من أقوال العرب وأمثالهم وأشعارهم، ونِسبة الكثير من شواهد الشعريّة إلى أصحابها إلّا القليل منها.

• نقده للكوفيين كثيرا ووصْفهم بالضّعف .

• الاعتدال في الآراء ، وعدم التشدّد لمذهبه البصري، والردّ على الكثير من البصريين الذين نقل عنهم .

• احترام آراء سيبويه وعدم نقْده .

• الإسراف والاهتمام الشّديد بذكر العلل وتوجيهها الوجه الصحيح والعقلية التعليلة الفذّة .

• الموقف المعتدل من القراءة الشاذة والقبول بها إن وافقت وجها من وجوه العربية أو لغة من لغات العرب المجال[1].

6 ـ قيمته:

الكتاب من أهمّ كتب إعراب القرآن الكريم الذي كان سببا في شهرت صاحبه، إذْ نهل منه الكثير ممّنْ ألّفوا بعده في هذا المجال[2]. بذل فيه العكبري جهدا كبيرا في إعراب القرآن الكريم وتوجيه قراءاته. فهو يعدّ الصورة المثلى والأخيرة التي أودع فيها العكبري خبرته النحويّة والتصريفية، إذْ كان تطبيقا علميًّا لمجمل آرائه النظريّة في علوم اللغة والقراءات وشيء من البلاغة وعلوم القرآن الكريم. وقد استفاد هو ـ أيضا ـ ممّن سبقوه ، فنقل عنهم الكثير وظهر اطّلاعه الواسع .

7 ـ مآخذه:

• البعْد عن الاختصار الذي صرّح به في المقدمة. فقد تعرّض إلى التفاصيل وأكْثرَ التشعّبات .

• عدم تعرّضه لإعراب جميع آيات القرآن الكريم، كما ورد في عنوانه « ويعرب جميع آي القرآن »، وإنّما اختار بعضَ الآيات فقط .

---

[1] . عماد مجيد علي ، منهج أبي البقاء العكبري في كتابه (التبيان في إعراب القرآن) ، ص78.

[2] . المرجع نفســه ، ص77.